ندوة « انتفاضة الأقصى »

- أ . د / أحمد صدقى الدجانى
« كاتب ومفكر مختص بالدراسات التاريخية والمستقبلية »

- أ . د / أحمد يوسف أحمد
« مدير معهد البحوث والدراسات العربية وأستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد جامعة القاهرة »

- سعادة السفير سعيد كمال
« الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية - رئيس الإدارة العامة لشئون فلسطين »

- سعادة السفير محمد صبيح
« المندوب الدائم لفلسطين لدى جامعة الدول العربية »

* * *

عقدت هذه الندوة بمقر معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة يوم ١٧ أكتوبر / تشرين الأول ٢٠٠٠ ، وأدار أعمالها أ . د / أحمد يوسف أحمد ، وشارك فيها كل من : أ . د / أحمد صدقى الدجانى ، وسعادة السفير سعيد كمال ، وسعادة السفير محمد صبيح ، وحضرها عدد كبير من طلاب المعهد والمتخصصين فى شئون الصراع العربى - الإسرائيلى . وفيما يلى عرض لوقائع الندوة :

أ . د / أحمد يوسف أحمد :

فى إطار حرص معهد البحوث والدراسات العربية على التفاعل مع تطورات الانتفاضة الفلسطينية المباركة ، وتحليل انعكاساتها الداخلية والإقليمية والدولية ، وتأثيرها على مجمل مسار الصراع العربى - الإسرائيلى ، عقد المعهد بمقره ندوة يوم ٢٠٠٠/١٠/١٧ بعنوان « انتفاضة الأقصى » .

انفجرت هذه الانتفاضة الفلسطينية التى أطلق عليها انتفاضة الأقصى المبارك فى الثامن والعشرين من سبتمبر لعام ٢٠٠٠ وهى تدخل أسبوعها الثالث مخلفة مئات الشهداء وآلاف الجرحى ، ومعبرةً عن رفضها للاحتلال بكافة أشكاله ، ومصممة على الاستمرار حتى التحرير ، ورافضة كل أشكال التهويد وطمس المعالم العربية والفلسطينية والإسلامية للقدس .

وتأتى هذه الندوة لتدارس وتحليل الانتفاضة الفلسطينية ، هذه الندوة التى جاء توقيتها فى لحظات عصيبة ، وبعد ساعات من انعقاد قمة شرم الشيخ بكل تداعياتها وقبيل التئام القمة العربية بأيام قليلة كما حدد لها .

فلقد كان القصد من هذه الندوة أن تكون بمثابة كلمة المعهد فى هذه الظروف العصيبة ، حيث إننا مقبلون على قمة عربية مما يستدعى منا جميعًا مفكرين وباحثين ورجال سياسة أن نخرج من هذه الندوة بسلسلة من الأفكار والاقتراحات المفيدة ، التى يمكن وضعها تحت بصر صانع القرار العربى ، علها تكون مساهمة نافعة منا فى هذا الموقف الذى نأسف لعدم امتلاكنا فيه – حتى هذه اللحظة – سوى الكلمات وربما بعض الأفعال .

وأبدأ أعمال هذه الندوة بدعوة سعادة السفير سعيد كمال للحديث .

سعادة السفير سعيد كمال :

بداية أرجو أن نتحلل من مناصبنا حتى نتحدث بكل صراحة ووضوح مع هؤلاء الباحثين والدارسين فى هذا المعهد العتيد ، الذى يشرفنا أن نلبى دعوة مديره الدكتور أحمد يوسف لحضور هذه الندوة التى هى كما عبر عنها تأتى فى وقت عصيب . واسمحوا لى أن أقول إنه لم يكن اعتباطًا حرص فلسطين والعرب بالدرجة الأولى على إبقاء بند الانتفاضة على جدول أعمال مجلس جامعة الدول العربية ، فالموقف العربى الرسمى مؤيد لطلب دولة فلسطين ، حيث ناقشت الجلسة الأخيرة لمجلس الوزراء العربى موضوع الانتفاضة الفلسطينية ، كما أن الأمانة العامة للجامعة العربية قدمت تقريرًا مفصلاً عبر مؤتمر المشرفين إلى السادة وزراء الخارجية لتخبرهم بماهية الأوضاع وما يحدث داخل الأرض المحتلة فهناك تقارير ترفع لنا من الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان ومصر تسبغ على ما أطلق عليه فى تاريخ الشعب الفلسطينى « الانتفاضة » مكانته وقدسيته ، والواقع أنه لم يكن من قبيل المصادفة أن تنطلق الشرارة مرة أخرى فى انتفاضة أخرى فى إطار موجات متواصلة ، وسوف تستمر فى تقديرى إلى أن تتحقق للشعب الفلسطينى أهدافه المرحلية والاستراتيجية .

ولئن كان من الصعب أن ندخل الآن فى تفاصيل هذا الموضوع إلا أننا سوف نقول إنه بمجرد أن دنس شارون بشخصه المسجد الأقصى المقدس لدى المسلمين فى مدينة القدس التى لها مكانة خاصة عند العرب مسلمين ومسيحيين حتى مسَّ الكرامة والضمير ، وأجج العاطفة الجياشة والبواعث الإيمانية التى تلف أبناء الشعب الفلسطينى بل وأبناء الأمة العربية والإسلامية . فما كان من هذا

المسّ إلا أن ووجه فى البداية برسالة وجهها الشعب الفلسطينى لإسرائيل قبل غيرها ، تتضمن رفضًا كاملاً وتامًا لهذا التجاوز الخطير ، خاصة بعدما شكلت قضية القدس جوهر المفاوضات فى لقاءات كامب ديفيد وظلت إلى اليوم هى النقطة الحساسة . وهنا أذكر الأستاذ الدكتور أحمد صدقى الدجانى عندما أشرنا - فى ندوة صحفية سابقة شاركنا فيها معًا - إلى أن قضية الحرم القدسى الشريف تمثل البوابة التى تفتح الطريق لحل جميع القضايا وفق رؤية ثابتة ، ولكنها أيضًا قد تغلق الطريق ولا تبقى أمام الشعب الفلسطينى سوى النضال .

فعلى الرغم من أن الاسرائيليين لديهم سوابق فى مسألة النفق وكذلك فى جبل أبو غنيم ، إلا أنهم هم الذين بادروا بالاستفزازات الخطيرة أيضًا فى هذه المرة ، حيث جاءت هذه الحركة الاستفزازية بواسطة شارون وبحماية من الحكومة الإسرائيلية لتعيد الكرة وتلقن الإسرائيليين درسًا أحسب أنهم لن ينسوه وسوف يكون من حيث عمقه وامتداده موضع دراسة غير معلنة لدى الإنتلجنسيا الإسرائيلية وسوف تتخذ بشأن ما يعرف باسم The control attack أى ردة الفعل تجاه العرب ، وعلى صعيد آخر ، وكما تعرفون ، كانت هناك دائمًا محاولة بعد أوسلو لإلغاء دور الأمم المتحدة فى تسوية الصراع العربى الإسرائيلى ورفع هذا الموضوع من على أجندتها ، ولكن العرب رفضوا بإصرارٍ إخراج هذا الموضوع من دائرة اهتمام الأمم المتحدة ، بل على العكس جاءت الانتفاضة لتؤكد وجود دورٍ ما للأمم المتحدة ، ونأمل أن يتحول هذا الدور لاستحداث آلية للتحقيق فى خلفية الأحداث فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، وهو مطلب فلسطينى عربى ، وإن كنت أعتقد أن القوات الإسرائيلية لن تنسحب فورًا . وحول هذا المعنى أشار أحد الصحفيين المقدسيين إلى أن الحكومة الإسرائيلية تدفع بقواتها إلى مدينة

القدس تحسبا لانفجار آخر خاصة مع اقتراب انعقاد مؤتمر القمة العربى ، وبالتالى فهذه الحكومة تريد أن تعطى انطباعا لدى الرأى العام الإسرائيلى بأنها لا تزال ممسكة بزمام الأمور رغم أنها لم تصل إلى أهدافها التى أرادت إنجازها .

سأكتفى بهذا وأقول إن هذه الموجة ستتبعها موجات ، وإن الشعب الفلسطينى الذى بدأ انتفاضته الأولى فى عام ١٩٢٩، وواصلها فى عامى ١٩٤٦، ١٩٤٨، واستفاد من كل منها دروسًا كثيرة ، مصمم على الوصول لأهدافه بإذن الله وتحقيق ذلك فى القريب العاجل .

ثم أعطى أ . د / أحمد يوسف الكلمة لسعادة السفير محمد صبيح .

سعادة السفير محمد صبيح

أخواتى وإخوتى :

أبدأ بالشكر الجزيل للمفكر العربى البارز الأستاذ الدكتور أحمد يوسف أحمد الذى يستفيد منه العمل العربى المشترك دائمًا وبلا حدود ، وشكرًا له على هذه الدعوة الكريمة ، وشكرًا لهذا المعهد الذى يقوم بدوره فى إعداد النشء فى أمتنا العربية على أسس من الوعى بأهمية العمل العربى المشترك ، والفهم العربى الوحدوى وفى إطار القومية العربية .

الحديث هنا ذو شجون وأقولها بكل صراحة : إننى لم أستطع أن أعد ما يليق بهذا المعهد لانشغالى فى الفترة الماضية إنشغالاً يكاد يكون قد صرفنى عن النوم ؛ لأن ما حدث فى فلسطين هو أهوال وحرب عنصرية بلا حدود ، فأن تطلق النار على رءوس الأطفال دون الثامنة من قبل جنود مدربين على أعتى آلة حرب عرفها

العصر فى الولايات المتحدة ، مستخدمين فى تنفيذ مجازرهم نظارات معظمة كى لا تخيب الطلقات عن الرءوس ، فحقيقة تكون هذه هى الهمجية بعينها التى لابد أن نضعها فى مكانها وفى حجمها وأن نعرف ما تريد .

وأبدأ بحديث الأخ « أبو عمار » . عندما فاز باراك فى الانتخابات الإسرائيلية على مرشح اليمين الإسرائيلى بنيامين نتنياهو ، حيث قال لنا فى إحدى اجتماعات القيادة : إنه سيأتى من هو أصعب وأخطر من نتنياهو وسنواجه أيامًا سوداء ، فلقد كان العالم لا يتعاطف مع نتنياهو ، فحزب العمل الاشتراكى له رصيد فى الغرب يختلف عن رصيد حزب الليكود ، لكن باراك تحديدًا قاتل محترف من الدرجة الأولى ، ولعلكم تدركون أنه شارك فى عملية اغتيال ثلاثة من القادة الفلسطينيين فى بيروت فى عملية سميت بعملية الفروان ، راح ضحيتها الشهداء : أبو يوسف النجار وكمال ناصر وكمال عدوان .

ويعتقد باراك بأنه بالعصا والإرهاب يستطيع أن يقنع الأمة العربية والشعب الفلسطينى بما يريد ، كما يستطيع أن يفعل الفعل نفسه بقنابله النووية والجرثومية وغازاته السامة أيضًا ، فهو إذًا ذو أنياب خطيرة جدًّا . وأعود وأكرر أن القدرة النووية والذرية الإسرائيلية والصواريخ بعيدة المدى التى تتخطى أمتنا العربية لتصل إلى الدول الإسلامية ترمى جميعها لتحقيق هدف أساسى هو إقامة الهيكل المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى المبارك .

فعندما وصل باراك إلى الحكم جاء بمساعدة أصدقائه من حزب العمل ، وكان قد دخل هذا الحزب بمحض الصدفة ، ليس لأنه صاحب التفكير الليبرالى، بل بناءً على وجود إسحاق رابين فى داخل هذا الحزب فكان من الممكن أن

يذهب إلى أى حزب آخر ، فهو ممن صوتوا ضد اتفاقيات أوسلو فكيف له أن يطبقها ، فلقد أحاط باراك نفسه بمجموعة من الضباط ورجال الاستخبارات ، وأهمل جميع قيادات حزب العمل وهمَّشها تمامًا سواءً شمعون بيريز أو حاييم رامون أو يوسى بيلين أو غيرهم من رموز حزب العمل ، لذلك كان لديه التخطيط المحكم لكيفية إعادة وحدة إسرائيل وهو يراها تتمزق ، وإسرائيل لا تتوحد إلا إذا كان هناك خطر خارجى ؛ لذلك نقل باراك المعركة إلى المنطقة العربية وإلى الساحة الفلسطينية ، وبالفعل أصبح المجتمع الإسرائيلى موحدًا فى غالبيته بدعوى وجود خطر داهم على إسرائيل وكل ذلك بهدف تنفيذ أوهام لا علاقة لها بالدين ، تتعلق بإقامة هيكل على أنقاض المسجد الأقصى .

ولعلنا نتساءل إذا كان باراك يريد السلام ، فلماذا هذا القتل بهذا الدم البارد فلقد سقط أكثر من عشرة شهداء وجرح ما يربو على المائة والخمسين جريحًا من عرب فلسطين القاطنين داخل أراضى ١٩٤٨ وهم من حملة الجنسية الإسرائيلية ، فلم تكن هناك سابقة للجيش الإسرائيلى فى استخدام الرصاص الحى ضد اليهود ، فكيف يقتل هؤلاء ؟ وكيف تقوم هذه الحكومة بإطلاق الرصاص الحى عليهم وهم يعطونها الصوت من أجل الثقة فى الكنيست ؟ لقد تحالف باراك مع شارون وأدخله المسجد الأقصى بحماية ثلاثة آلاف جندى على مستوى عالٍ من التدريب ، وأطلقت القوات المحيطة به النار على المصلين داخل ساحات الحرم القدسى الشريف ، الأمر الذى لم يحدث إلا أيام الفرنجة .

إذًا فلديك خطط واضحة لإنهاء العملية السلمية عن بكرة أبيها ، فلقد أراد باراك إرهاب القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطينى ، وبدأ الإعداد لهذا

الإرهاب قبل قمة كامب ديفيد عندما أدخل باراك الدبابات الإسرائيلية إلى المستوطنات ومعسكرات الجيش الإسرائيلى فى المناطق الفلسطينية وسلح المستوطنين وهدد بقصف مقر الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات وإسقاط طائرته .

فباراك هو الذى وقع على اتفاقية شرم الشيخ الأولى ولم ينفذ منها أى حرف ، فهذا الحشد العسكرى قد سبق كامب ديفيد وخرج علينا باراك بتصريحاته التى كانت على لسان شلومو بنعامى وزير الخارجية الإسرائيلى بالوكالة والذى هدد الدول العربية بطريقة مغلفة عندما أشار إلى أن الرئيس الفلسطينى يحاول جر كل من مصر والأردن إلى حرب مع إسرائيل ، وهذا كى تستطيع إسرائيل عزل الموقف الفلسطينى عن الموقفين المصرى والأردنى من قضية القدس ، وبذلك تستطيع إسرائيل الاستفراد بالفلسطينيين وبالتالى يرضخ الفلسطينيون للتفريط بالقدس . ويصبح الرئيس بالفلسطينين دون ساند له فى كامب ديفيد ونسى أن السيد ياسر عرفات قال للرئيس الأمريكى بيل كلينتون عندما بدأ الأخير بالضغط عليه فى كامب ديفيد : « سيادة الرئيس بيل كلينتون تستطيع أن تسير فى جنازتى ، وسيأتى من بعدى طفل فلسطينى كى يحررها ، فهذه هى القدس » . فكان الفشل فى كامب ديفيد كما تعلمون ودخلنا فى مسلسل الدم والعنصرية والقتل الذى تسمعون عنه وتشاهدونه الآن ، ولكنه دم طاهر مقدس على هذه الأرض المقدسة التى بشرنا الرسول ﷺ بأن أهلها فى بيت المقدس فى رباط إلى يوم القيامة فلا تستغربوا لهذه الشهادة .

لقد عم الغضب جميع أنحاء الوطن العربى ، ولم يحدث أن رأينا مثيلا لهذا التجمع للشعب العربى ، وقوة الرأى العام إلا فى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، فما

نراه الآن ماهو إلا ثورة غضب عربية من الأعماق . فعندما نتحدث عن دلالات المستقبل ، علينا أن نفكر كيف ننظم قوى الرأى العام العربى ؛ لأنها تلعب دورًا هاما فى توحيد الصف العربى وترسل رسالة إلى من يهمه الأمر فى البيت الأبيض وفى تل أبيب ولكل من يعتقد أنه يستطيع أن يكسر ظهر هذه الأمة الخالدة والباقية إلى الأبد .

لكن هذه رسالة موجهة إلى الأمة العربية ، وتؤكد على وجوب إقامة حوار عربى - عربى وتأسيس نظام عربى متماسك يستطيع التصدى للهجمة الصهيونية ، وأن يطفئ الحرائق قبل وقوعها ، كى لا يتكرر ما حدث فى حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠ ، ويكون ذلك عبر انتظام القمم العربية كل عام ، والعمل على إنجاحها بكل مسئولية ، وليس بالتهرب أو بالتستر وراء شعارات غامضة ، فالخطر يهدد مقدسات الأمة .

فإذا ثارت الشعوب فى أندونيسيا ونيجيريا لحماية المسجد الأقصى فإن إنقاذه فرض عين على القيادة قبل المواطنين ، كما أن المطلوب أيضًا تبلور موقف فلسطينى متماسك يفهم معادلات الزمن الحاضر والقوى الموجودة ويحاول إيجاد دروب له فى داخلها ، وهذا يعنى أن نناضل ، وأن نفاوض ، وأن نبقى العدو فى زاوية ، على ألا نتنازل عن أهدافنا قط ، وهذا ممكن بالتنسيق العربى - العربى . وما قمة شرم الشيخ إلا محاولة لإطفاء الحرائق عبر عنها الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك تعبيرًا رائعًا عندما قال : « إنها لا تلبى طموحاتنا » . فإذا قيل هذا الحديث فى وسط دبلوماسىٍ فهذا يعنى أن القمة فى خطر ، وطالما أن الإسرائيليين لم يلتزموا بتنفيذ أى بند من الاتفاقية ، فالانتفاضة ستستمر حتى وإن كانت هناك

هدنة أو التقاط أنفاس ، فهذا لصالحنا أيضًا .

ولعلكم تعلمون أن لدينا ثلاثين سيارة إسعاف أعطب منها سبع عشر سيارة بطواقم تمريضها التى استشهد من أفرادها من استشهد وجرح منهم من جرح أثناء محاولاتهم إنقاذ أكثر من خمسة آلاف جريح ، فلقد قامت إسرائيل بمنع إخراج الجرحى الفلسطينيين للعلاج حيث أغلقت المعابر وحاصرت المدن والقرى ، وبالتالى فنحن بحاجة إلى مواد طبية وأطباء وجمعيات حقوق إنسان ولجان تحقيق ؛ حتى نستطيع الصمود ، وحتى نستطيع التأثير ، وحتى لا يقال عنا إننا نذهب إلى هذا الاجتماع أو ذاك دون إعداد . إننى أتحدث أمام جمع مثقف سياسى وواع ومدرك كيف تدار المعارك باستخدام السلاح والسياسة والاقتصاد والرأى العام ... الخ .

فلذلك نحن فى انتظار إعلان الدولة الفلسطينية ولمواجهته لابد من القيام بالتالى :

١- ترتيب حماية لهذه الدولة ووقف شلال الدم المتدفق .

٢- إنهاء خلافاتنا العربية - العربية قدر الإمكان .

٣- طلب الحماية الدولية حتى لا يستفرد هذا الجيش العنصرى بالشعب الفلسطينى وحيدًا ؛ لأن الأمة العربية قد يكون خيارها العسكرى مؤجلاً لبعض الوقت وأتمنى أن تحث الأحداث الأنظمة العربية على الجاهزية ، خشية فرض المعركة العسكرية علينا ونحن لسنا على استعداد لها .

وللأسف الشديد فقياداتنا العسكرية العربية لم تجتمع منذ ٢٥ عامًا وأفرادها

لا يعرفون بعضهم البعض ، فمن المطلوب أن يكون هناك بعض التنسيق العربى على المستوى العسكرى ، علما بأن العرب ينسقون مع تركيا وجنوب أفريقيا ، فهل آن الآوان لإعادة التنسيق العسكرى العربى لنعرف ما لنا وما علينا ؟

وبعد هذه المداخلة كانت كلمة أ . د / أحمد صدقى الدجانى .

أ . د / أحمد صدقى الدجانى :

بداية أعبر عن تقديرى العميق لهذه الدعوة وأجدها مناسبة للتعبير بالعرفان من قبل أحد أبناء فلسطين ناطقًا بلسان كل واحد منها ، وعرفانه لكل واحدٍ من أبناء الأمة العربية فى هذه اللحظة التاريخية النادرة .

تميز هذا المعهد كما نقول دائمًا بهويته القومية من المحيط إلى الخليج وتميز بدوره الفكرى ، وما أحوجنا إلى هذين العنصرين فى هذه المعركة . فبعد أن استمعنا للأخوين سعيد كمال ومحمد صبيح وقد سلطا أضواء كثيرة ، أختار بدورى بعض الأضواء أسلطها بسرعة لأستثير فكركم لمزيد من الأسئلة تتيح لنا فرصة الحوار .

إخوتى . . . ما طبيعة هذه المعركة ؟

هى هبة تطورت إلى انتفاضة متميزة لأهلكم فى فلسطين ، تطورت إلى معركة من معارك العروبة ، وما حدث خلال الثمانية عشر يومًا الماضية قد دلل على آفاقها ، ولنستحضر معًا كل الأحداث من المغرب وموريتانيا إلى عمان والعراق ، إلى إيران وأندونيسيا ، لتشمل الدائرة العربية والإسلامية ، هذه المعركة نشهد فيها لحظة تاريخية متميزة لأنها معركة متميزة ، فاللحظة التاريخية تتجلى

فيها الروح الوطنية لشعب فلسطين ولأغلب الشعوب فى أقطارنا العربية كما لم تتجلَّ من قبل ، وما أكثر ما نراهن على اللحظة الوطنية التى يتجلى فيها حشد التعبئة العربية أيضًا .

فمنذ أن قامت منظمة التحرير الفلسطينية صاغت شعار « وحدة وطنية ، وتعبئة قومية ، فتحرير فلسطين » .

هذه المعركة هى معركة أخرى فى صراع ممتد ، فكما أشار الأخوان المتحدثان فالصراع ممتد ، والانتفاضة تتلوها انتفاضة ، والمعركة تتلوها أخرى .

وأذكر كيف خرجنا فى يافا عام ١٩٤٧ عندما صدر قرار التقسيم ، وكيف خاضت الأمة المعركة ، وكيف تعرفت على نوع رصاصة الدُمدُم التى تنفجر فى الجسد ، ورأيت شهيدًا يومها وأخى يمسك بيدى والآن أطفالنا يتعرضون لنفس الرصاص .

تذكرت عام ٥٦ عندما كنت فى العشرين فى يوم قريب من هذا اليوم حين حدث العدوان الثلاثى ، معركة أخرى تجلت فيها لحظة مصر الوطنية وتجلت فيها الوقفة العربية .

تذكرت عامى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ثم سلسلة طويلة من المعارك اليومية لشعبنا وفى آخر هذه المعارك تتجلى كما تجلت دائمًا الوحدة الوطنية والتعبئة القومية ، وتجلى العدو بقطبيه : الصهيونية الآثمة التى تعيشون جرائمها وفعلها وكذلك قوة الطاغوت القانونية فى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وقد أسفرت عن قبحها .

فإذا استحضرنا ما حدث فى الأيام الأخيرة الماضية على المستويين الداخلى والخارجى كى نصل إلى الدلالات ، وهذا هو مطلب أخى الدكتور أحمد

يوسف أحمد ، فالدلالات وقف أمامها عدد من المفكرين وهى أن الصمود كان متواصلاً على الصعيدين الرسمى والشعبى .

وبمراجعة ما جرى فى كامب ديفيد الثانية نخلص إلى هول الضغط الذى حدث للتفريط بالحرم مع الاستفراد بالقيادة التى تفاوض ، ولكن القيادة تصدت وعوامل صمودها ثلاثة وهى :

١- عامل ذاتى .

٢- عامل يتسم بالتعبير عن الشعب وهو الصمود .

٣- عامل ثالث وهو وحدة عربية رسمية .

كذلك فلقد تابعتم فى قمة شرم الشيخ نوعين من التفاوض هما :

١- تفاوض يأخذ بعين الاعتبار حسابات قوى التوازن فى عالمنا .

٢- تفاوض يأخذ بعين الاعتبار حسابات قوى التوازن فى عالمنا ولكنه مدعم بالمقاومة الشعبية العربية والرسمية ، فالدرس الذى نستخلصه من هذه الدلالة أنه قد يجرى الحديث فى علم السياسة عن التفاوض ، ولكن التفاوض يجب أن يكون مقرونًا دائمًا بالمقاومة .

إن من الدلالات التى ظهرت على صعيد الصهيونية أننا ما زلنا أمام هذه العقلية التى أشار إليها المتحدثان السابقان والتى يمثلها باراك اليوم وقبله شارون وبيريز ورابين فأنا أرجو ألا نقع فى خطأ يعممه الإعلام المروج .

ورابين هو صاحب سياسة تكسير العظام ، وهو صاحب استباحة جنوب لبنان . . . الخ . فنحن نتعامل مع مجرمى حرب صهاينة .

وثمة دلالة أخرى على صعيد الطرف الآخر فى التحالف وهو الولايات المتحدة الأمريكية ، فهى منذ أن قامت تنحاز لإسرائيل ، وهو ما أتضح عندما فتحت أول قنصلية لها فى القدس عام ١٩٣٩ . وقد كتب المفكر الفلسطينى إبراهيم أبو لُغد قصة العلاقة بين الولايات المتحدة وبين قضية فلسطين منذ ذلك الحين ، وكيف ضاعفت الولايات المتحدة العداء لهذه الأمة منذ الحرب العالمية الثانية ومنذ مؤتمر باتيمور عام ١٩٤٢ ، وتجلى هذا العداء المميز لموقف الرئيس الأمريكى الحالى بيل كلينتون الذى سيسجله التاريخ كمجرم حرب فى تاريخنا فهو الذى أعطى الضوء الأخضر لرابين لضرب لبنان على مدى أسبوع كامل عام ١٩٩٢ ، وكذلك هو الذى أعطى الضوء نفسه ليبريز لقصف قانا فيما أسموه بعلمية عناقيد الغضب وكذلك لنتنياهو أيضا وسيسألون عن كل ذلك حتمًا .

فالولايات المتحدة احترفت لنا العداء ، وتجلى هذا العداء فيما تجلى من صور وأحداث ضد شعبنا وأمتنا ، فأول أمس أرسل الكونجرس رسالة إلى الرئيس الفلسطينى تملى عليه ما يجب فعله فى هذه الأحداث ، فالولايات المتحدة أحست هذه المرة بخطر هذا العداء الذى تحترفه ؛ ولذلك قامت بمراجعة حساباتها وتحرك رئيسها بسرعة إلى شرم الشيخ بعد أن تفجر الموقف جزئيًا وأوشك أن ينفجر كليًا .

ونحن هنا فى هذا المحفل العلمى نحاول أن نحضر أوراق قوتنا وصولًا إلى أن تقوم الولايات المتحدة بمراجعة استراتيجياتها حيالها ، فإذا أرادت لمصالحها فى المنطقة أن تُحمى ، وإذا أرادت شراكة عادلة فلابد أن تتخلى عن هذا الكيان الصهيونى ، ولابد أن تحترم هذه الأمة ولابد أن تعاملها على صعيد الندية ، وهذا

لن يتأتى إلا إذا قامت الأمة بحشد أوراقها وعرفت كيف تنظم نفسها .

ومن الدلالات على الصعيد العربى أن الوقفة الشعبية أكدت أن الأمة واحدة وكل التراكمات السابقة تزول أمام الخطر الحقيقى ، فعليكم أن تحسنوا قراءة هذا الحدث ، فنحن اليوم نطوى عمليًا صفحة النظام الشرق أوسطى الجديد الذى قاومناه معًا منذ عام ١٩٩١ ، فلقد كان مقررًا أن تُجمد الجامعة العربية ويحل محلها نظام شرق أوسطى تكون للكيان الصهيونى القيادة فيه ، وإذا لاحظتم فلقد فرض التجميد على الجامعة ضمن حدود معينة ، لكن الأمانة العامة بذلت قصارى جهدها وتكاتفت الدول العربية مع بعضها البعض وكان دائمًا لفلسطين دور فى هذا التكاتف ، إلى أن عقدت قمة الإسكندرية تبعتها أخرى عام ١٩٩٦، ثم التأمت القمة العربية الأولى بدون العراق ، وها هى القمة الثانية تأتى بالعراق ومهم جدًا أن نقف عند هذا الحدث .

فمنذ أن بدأت عملية مدريد ، بدأ الأمريكيون يتحركون فى مئات مراكز البحث ، وكذلك عكفت مراكز بحث إسرائيلية على سؤال واحد هو « كيف يغتصبون الحرم القدسى الشريف بحجة القانون » . هناك تحقيق فى الأهرام بقلم أمين المصرى ، يتحدث فيه عن عصارة هذه الجهود الأمريكية الإسرائيلية ، وكيف عملت هذه المراكز بكل قوة لتوجد ما أسميناه بالحل العنصرى .

ومن أهم الدلالات على هذا الصعيد ، أنهم كانوا يظنون أن هذه القيادة الفلسطينية بكل ما قبلت به على مدى ثلاثة عقود يمكنها أن تقبل بإتفاقيات أخرى جائرة ، وإذا بالأيام تدلل فى هبة الأقصى الأولى كيف وقف رجل الأمن الفلسطينى جنبًا إلى جنب مع أبناء شعبه ، مما اضطر الإسرائيليين هذه المرة إلى

قصف المقرات الأمنية الفلسطينية بالصواريخ .

ما أريد أن أنتهى إليه هو أن الاستعمار قد يخطط ، لكن تخطيطه خاطئ وإرادة الشعوب تمزقه تمزيقًا .

إخوتى وأبنائى أريد أن أختتم بالتساؤل الهام التالى :

ما الذى ينبغى علينا عمله ؟

١- نحن أمام ما حدث فى شرم الشيخ ، وأتمنى أن نخصص وقتًا لقراءة شرم الشيخ ومعرفة موادها فهى قمة عقدت بدعوة قوية من الولايات المتحدة التى استشعرت الخطر ، وشرم الشيخ جاءت بدور لا يغفل لمصر العربية لما لها من مكانة خاصة فى هذا الوطن العربى الكبير ، ومصر شأنها فى شرم الشيخ الأولى عام ١٩٩٦ لها قدرة على أن تحول الهدف الخارجى إلى هدف آخر فيه ما فيه من إرادتنا ، فيجب قراءة نتائج شرم الشيخ وإلى أى مدى سوف تؤثر على القمة العربية ، فالأمل كبير فى نجاح القيادة فى الجامعة العربية وفى مصر وفى الوطن العربى كى توظف شرم الشيخ إيجابيا محققين الأهداف التالية :

٢- القمة العربية القادمة هى عودة النظام العربى إلى فاعليته ، فلقد شرعت الجامعة العربية فى السنة الأخيرة فى البحث عن كيفية استمرار هذه الآلية فلا بديل عن المظلة العربية ، ولا مكان لهذا الكيان الصهيونى فى النظام العربى .

٣- القمة سوف تحشد أوراقها وسوف تحسن استخدام هذه الأوراق ، كذلك سيكون لورقة النفط دورها فهى ورقة ستكون فى الاعتبار . وتذكروا أنه فى مثل هذا اليوم ١٩٧٣/١٠/١٧ اجتمع العرب فى الكويت بعد حرب

رمضان الشهيرة وأخذوا قرارًا - ورحم الله الملك فيصل الذى كان له دوره فى هذا القرار - هز العالم أجمع على الرغم من أن نسبته كانت ضئيلة ، فورقة النفط ستؤخذ فى الاعتبار وأوراق كثيرة أخرى منها علاقاتنا بكل الدول .

ويجب أن نتذكر أن من دلالات هذه المعركة أن جميع الدول الغربية أدركت حقيقة القضية ، وهى قضية التحرير ، وطرح موضوع أساسى هو أن كل يهودى فى العالم متهم بالولاء المزدوج ، ففرنسا بدأت تعانى من هذا كالولايات المتحدة فهذا جدير بالبحث .

الهدف لدينا واضح تمامًا وهو تحرير فلسطين والجولان بعد أن تحرر الجنوب اللبنانى ، وطرح الحل الصحيح لقضية فلسطين هذا الحل النابع من حضارتنا الديمقراطية الشورية الذى يبدأ بنبذ الصهيونية العنصرية والذى يراهن على أن هذا الكيان سوف ينفجر على أربعة حدود :

- شرقيين وغربيين .
- علمانيين ودينيين .
- مستغلين وفقراء .
- محتلين وفلسطينى الداخل وأصحاب الوطن الأصليين .

فالمعركة مستمرة والهدف نصب أعيننا إلى أن نصل إلى الهدف العظيم .

وبعد هذه المداخلات الثلاثة القيمة فتح رئيس الجلسة الباب للمناقشة ، وفيما يلى عرض لتفاعل المحاضرين الثلاثة مع ما وجه إليهم من تعليقات .

تعقيب السفير سعيد كمال :

هناك فرق بين أدوات القوة التى يملكها الفلسطينيون وأدوات القوة التى تملكها إسرائيل ، ومنشأ الموضوع هو القدس وقد عبر الشعب الفلسطينى عن تمسكه بها بوسائل شاهدها جميعنا وبالتالى فما وصلت إليه قمة شرم الشيخ لا يلبى طموحنا ولا ينسجم مع أهدافنا المتمثلة بتحرير الضفة الغربية وقطاع غزة وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس ، وهو ما يتفق عليه جميع الأطراف .

فالانتفاضة الفلسطينية موجة من موجات نضال هذا الشعب الذى لن يموت ، فلقد لا حظنا هذا الزخم العربى الداعم للشعب الفلسطينى ولقضيته التى أصبحت تمثل له الشغل الشاغل والذى لابد من المحافظة عليه ، فوفقًا لهذه الرؤية نحن نعمل فى الجامعة العربية على تقديم خطة عمل للدول العربية لاستثمار هذا الزخم فى قلب الموازين على رأس إسرائيل ، ولم يكن الحدث الذى أدى إلى مقتل جنديين إسرائيليين برام الله إلا ردة فعلٍ للاستخدام المفرط والبشع للآلة العسكرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين العزل .

فلقد طوعت إسرائيل الإعلام الغربى لصالحها بشكل حجب نسبيا الأثر العميق للحادث المفزع لقتل الطفل الفلسطينى محمد الدرة وهو فى أحضان والده .

فنحن يجب علينا استثمار هذه الأحداث ، ولا أعنى بذلك استثمار الشهادة لأنها حق واجب علينا جميعا وعلى أبنائنا ، ولكن يجب استثمار هذا الحدث بمفهومه السياسى والإعلامى حتى نوظفه لانتفاضات أخرى قادمة ؛ لأن المشوار طويل فقد نلجأ إلى أساليب أكثر تطورًا مما هى الانتفاضة عليه اليوم ، ولا أشك

فى أن تفكير القيادة الفلسطينية لا يختلف كثيرًا عن هذا الطرح وكذلك تفكير كل من الأخوين محمد صبيح والدكتور الدجانى عضوى اللجنة التنفيذية التى كانت مصاحبة للمرحلة التى حدث بها الانعطاف التاريخى .

وحول شرم الشيخ فحسب رأيى أن باراك له مصلحة فى العودة للرأى العام الإسرائيلى ليخبره باستخدامه جميع الوسائل القمعية بحق الفلسطينيين ، وأنهم شعب أبناؤه يودون الموت فى سبيل وطنهم فهل نستمر معهم فى ذلك ؟

ففى اعتقادى بأنه سيسلم بالقدس ، فهو سلم بأن القدس القديمة من حق السيادة الفلسطينية ، فإسرائيل لم تكسب الرأى العام العالمى لصالحها من جراء استخدامها للعنف ضد الفلسطينيين .

كذلك يجب ألا ننسى أن الموقف الفلسطينى - المصرى - الأردنى كان متسقًا فى حركته للضغط على إسرائيل وإدانتها فى هذه الأحداث .

وما الحديث عن إجهاض شرم الشيخ للانتفاضة الفلسطينية إلا حديث عارٍ عن الصحة ، وهذا ما سنلحظه فى الأيام المقبلة . فكل موجة من موجات نضال الشعب الفلسطينى سوف تؤتى ثمارها . وأعتقد أنه حتى إن طبق هذا الاتفاق وحتى إن تحقق الحد الأدنى منه فإن الانفجار لا يزال قائمًا .

تعقيب السفير محمد صبيح :

إننى أقدر هذه المشاعر الفياضة التى تنطلق من الشابات والشباب فى هذه القاعدة ، ولكن خدعكم من قال بأن لدىّ إجابة سحرية لكل الأسئلة التى تطرحونها ، وبالتالى سأمر على محاور وإشارات فى أسئلتكم لعلى أرد على

بعض منها .

وأود أن أذكركم بأننى لست ممثلا للسلطة الوطنية الفلسطينية ، بل أنا سفير لدولة فلسطين لدى جامعة الدول العربية ، هذه الدولة التى اعترفت بها الدول العربية و١٢٠ دولة أخرى فى العالم .

فمقومات الدولة الفلسطينية متوفرة ، وفى مقدمتها رغبة الشعب الفلسطينى فى الاستقلال ، وكذلك دعم الأمة العربية وأحرار العالم لها ، فلا تلزم لهذه الدولة بالضرورة مليارات الدولارات حتى تقوم . فإسرائيل قامت وأوضاعها كانت أسوأ بكثير مما هو الحال الآن بالنسبة للدولة الفلسطينية ، وهناك دول كثيرة قامت وليس لديها الإمكانات التى يملكها الشعب الفلسطينى ، فهناك إذن إمكانات جيدة للدولة الفلسطينية .

وما أريد أن أركز عليه وقد أشرت له إشارة سريعة هو أننى تمنيت أن يجتمع رؤساء جيوشنا وأركاننا للتنسيق وتبادل المعلومات عن أنواع الأسلحة وتطورها ، ولم أطالب بإعداد الجيوش للتحرير غدًا . ولكنى أعتبر أنه من الخطورة أن نفاجأ مرة أخرى ونحن لسنا على جاهزية لمعركة عسكرية قد تفرض علينا .

فإذا كانت هناك قمتان عربيتان ، الأولى انعقدت عام ١٩٩٦ ، والأخرى سوف تعقد بعد أيام أيضا بدماء فلسطينية . فهل نخلص من ذلك إلى أن هذا النظام العربى نظام سوى وصحيح ؟

لذلك لا بد من معرفة مكمن الخلل ، فالحرب الباردة انتهت وهزم الاتحاد السوفياتى وتبخر ، وأصبح العالم العربى فى وضع لا يحسد عليه ، واستنزفنا طاقاتنا فى قضايانا البينية ، وبالتالى أصبح الوطن العربى بدون نظام عربى فاعل

يحميه . لذلك يجب علينا التفكير قبل السؤال ما العمل ؟

ففى تقديرى - وأقولها دائمًا -: إن العمل يكمن فى الفرد العربى ، فإذا استطاع هذا الفرد أن يعرف ماذا يريد وأن يقطع خطوات على طريق ما يريد ، فعندها ستستجيب الأنظمة لكل مواطن وفرد عربى .

فما قوة الرأى العام وكيف نستغلها نحن كعرب ؟

إن قوة الرأى العام العربى لم تظهر إلا بعد هذه الدماء وهذه التضحيات وهذا القتل والإجرام بحق الأطفال فى فلسطين .

أما قوة الرأى العام فهى مجموع الأحزاب والاتحادات والبرلمانات والأندية العربية ... إلخ ، هى سلسلة طويلة من الشبكات والخلايا المتصلة ببعضها البعض . وإذا ما أحسنت أداءها فسوف تصل بالتأكيد إلى ما نريد ، لكن أن يكون الأمر عاطفيًا سنلتقى اليوم وننتهى غدًا ، ولا نقوم بما علينا . ولنتمثل الحركة الصهيونية وهى على ضلال ونحن على حق ، فكل فرد فيهم يشكل دعمًا للرأى الصهيونى وفق عمل منظم بشكل كامل .

فإذا أقدمت قناة الـ CNN على سبيل المثال على إذاعة خبر لصالح الشعب الفلسطينى ، فانتقاد تصرفها يتم بجهود مئات من الصهاينة وأعوانهم عبر الرسائل والشجب لهذا السلوك . أما إن كان هذا الخبر ضد الشعب الفلسطينى وافتراء عليه وعلى الأمة العربية فلا من ناقد أو مستهجن فى ظل قيام قنواتنا العتيدة بتقديم برامج اللهو أكثر مما تقدمه من الجد .

وبالنسبة للمقاطعة فليس لدى الأمين العام للجامعة العربية عصًا سحرية

لفرض مقاطعة على البضائع الأجنبية الداعمة للكيان الصهيونى . فنحن نعلم طبيعة التوازنات والظروف الدولية التى تحيط بالعمل العربى الرسمى .

لكن لماذا يذهب شبابنا إلى هذه الأماكن التى تسوق بها البضائع الأجنبية ويفضلونها على البضائع العربية ؟ فكل مليار دولار نستورد به من الخارج يُضيِّع ما يقارب ٢٧ ألف فرصة عمل لشبابنا .

فمصادر القوة متوفرة فى الأمة ، ولكننا نحتاج إلى تنظيم أنفسنا أولاً كأفراد وأحزاب ومنظمات وأندية وهيئات تدريس ، فمثلاً هناك اتحادات تدريس دولية ، فماذا كان دورنا تجاهها كهيئات تدريس عربية ، هل خاطبناها وأوضحنا لها ما هى القدس ؟ ومن هى إسرائيل ؟

أما الصهاينة فهم يقومون بذلك باستمرار وبشكل منظم فى كل أركان الدنيا وبلا ملل ، بالفن والإعلام والتجارة والاقتصاد والرياضة ... إلخ

فأين نحن من ذلك كقوة رأى عام عربى يحسب له ألف حساب أمريكيا وعالميًا ؟

وبخصوص الأسئلة التى طرحت حول قمة شرم الشيخ . . .

فلقد تحدثت عنها وتحدثنا عنها جميعًا ولا أعتقد أنها ستحبط شيئًا ، أو أن الآمال كانت معقودة بشكل كبير عليها ، وأن القمم العربية تقوم بدورها وتعقد بشكل منظم وتمارس كل واجباتها تجاه الأمة ، بحيث نتصور أن شرم الشيخ فقط هى التى ستجهض القمة العربية !!!

فاختلافاتنا لا زالت مستمرة حتى الأمس القريب حول القمة العربية ، فإذا

رفعنا سقف القمة فقد لا يحضرها البعض .

لذلك يجب ألا نقفز قفزات كبيرة لا نستطيع تنفيذها ، ويجب ألا نحمل القمة العربية أكثر مما تحتمل .

فما هو مهم جدًّا هو النظام العربى الذى نرغب بقيامه وأن نحميه بالديمقراطية وعملنا المنظم ، ولا نريد أن تخشى الأنظمة العربية من الشارع العربى .

وحول استطاعة إسرائيل فرض كل شيء علينا ، فهذا غير صحيح ، فهى لم تنجح حتى الآن فيما تريد ، فلتقل ما تريد طالما أن هناك إرادة عربية رافضة لوجودها لإصرارها على السيادة وعلى قيادة هذه المنطقة ، فإن لم تكن هذه الدولة من نسيج المنطقة تتعايش بفكر المنطقة وثقافتها فلن تستمر ، شأنها شأن كل الدول التى قامت على القهر والعدوان وبدون جذور ولا ثقافة أو حضارة .

مداخلة أ . د / أحمد يوسف أحمد :

إن أهمية الموقف ستفرض علينا فى أغلب الظن لقاءً ثانيًا ، وربما يكون لقاءً قريبًا ، لأنه منذ البداية وكما أشرنا فإننا لم نهدف من هذه اللقاءات تفريغ ما يدور فى هواجسنا ومشاعرنا بل هدفنا تدارس الموقف .

وجانب من أهمية هذا اللقاء ، عملى ، فلقد وصلنى نداء موجه إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية يتضمن موقفا ومذيلاً بتوقيع مائة دارس تقريبًا من دارسى المعهد ، وبدورنا سنفكر فى الطريقة المثلى التى سنوصل بها هذا النداء ، والذى قد يكون مطعمًا بالاتجاهات العامة التى أسفر عنها هذا اللقاء . فأعتقد أنه

ليس هناك مبالغة فى القول بأن هناك قاسمًا مشتركًا فى تحليلنا لكل من قمة شرم الشيخ والقمة العربية والسياسة الصهيونية ، والشيء العملى الثانى هو أن نعلن عن زمان ومكان استقبال المتبرعين بالدم فى مركز شباب المساحة بتاريخ ٢٢/١٠/ ٢٠٠٠ عند الساعة الخامسة من مساء يوم الأحد المذكور بميدان الجيزة .

واسمحوا لى ببعض الملاحظات السريعة للغاية عن بعض جوانب الموقف . .

١- بالنسبة إلى ما يسمى أو أسماه بعضكم بخيار الحرب . .

لا يوجد شيء يسمى تحديدًا خيار الحرب ، بل هناك ما يسمى بإدارة الصراع . فكما أنه من الخطأ الجسيم أن نتحدث عن المفاوضات كأداة وحيدة لإدارة الصراع ، فإنه أيضا من الخطأ أن نتصور أن الحرب تبرز كأنها أداة وحيدة . ولكن إدارة الصراع هى ما تقلق شعبنا الفلسطينى ، فهو يستجيب حينا إلى المفاوضات ، وعندما يرى أنها لا تحقق له الحد الأدنى من حقوقه ، فإنه يستخدم أدواته الأخرى بكفاءة فى إدارة الصراع . فلقد فعل هذا عندما أعلن الكفاح المسلح فى الستينيات ، وكذلك عندما تفجرت انتفاضته التاريخية الأولى فى ديسمبر عام ١٩٨٧ . وما يفعل الآن هو إحدى آليات هذه المنظومة من استخدام الأدوات الخاصة بإعمال القوة بكل أشكالها . فأنا أتصور أن هذا الشعب مقبل فعلاً على استخلاص حقوقه من المنظور التاريخى ، فقد يستخلصها فى سنوات ، وربما فى عقود ، ولكن أولئك الذين كانوا يسخرون من إمكانية التحرر الوطنى نقدم لهم نموذجا من جنوب أفريقيا وجنوب لبنان ، ونقدم لهم نماذج التحرر الوطنى فى أرجاء العالم المختلفة ، وجميعها يثبت أنه عندما تثور الشعوب وتستخدم السلاح والعصيان المدنى وقد تستخدم أحيانا المفاوضات تصل فى

النهاية إلى تحقيق حقوقها ، والمهم أن يكون الطريق واضحًا أمامنا .

أما الحديث عن أن إسرائيل مطمئنة ، فأنا أختلف مع هذه الفكرة . فأنا أدعوكم من الناحية النفسية أن تقرأوا وجه باراك وزملائه فى الأيام الأخيرة ، وأدعوكم لقراءة المعنى الحقيقى لهرولته إلى شرم الشيخ بعد رفضه الذهاب إلى القمة قبل أسبوع .

صحيح أن النتائج هزيلة ولا ترضينا ، لكن مجرد حضور باراك هو إدراك منه لحجم خطورة الموقف . وتأملوا معى الفارق المهم بين انتفاضة عام ١٩٨٧ رغم امتدادها الزمنى وانتفاضة الأقصى ، وستجد أن انتفاضة عام ١٩٨٧ لم تتمكن من إيقاظ الشارع العربى على نحو كافٍ ، أما هذه الانتفاضة فلقد رأينا ما أحدثته فى هذا الشارع .

إن عقليتهم الاستعمارية ضيقة الأفق قد تجعلهم لا يدركون هذا المعنى ، فهم فى حالة اضطراب وقلق ، وسوف نخطئ بحق أنفسنا إن أهملنا قراءة هذا المعنى أو تراجعنا عن استخدام أدوات النضال .

٢- أما النقطة الثانية التى أود الحديث عنها وهى الإفراط الهمجى فى استخدام القوة تجاه الشعب الفلسطينى ، فهذا يقلقنا ويطمئننا فى الوقت نفسه . فهو يقلقنا لهذا الشلال من الدماء الزكية وتواصل قافلة الشهداء . ويطمئننا أيضا لأنه يعنى أن هذه القوة الاستعمارية البغيضة ما زالت تتصرف بنفس الطريقة التى تصرفت بها القوى الاستعمارية السابقة التى لم تكن ترى أبعد من مواطئ أقدامها . وهنا أذكر تصريحًا لإيدن سميث رئيس وزراء الحكومة العنصرية فى روديسيا عندما قال : « لن يشهد أولادى وأحفادى حكم الأغلبية السوداء » .

ولكن بعد أسابيع قليلة كانت الأغلبية السوداء فى مواقع الحكم .

فهذا هو عهدنا بالقوى الاستعمارية وأرى أن إسرائيل بتصرفها الأخير تثبت أن مستقبلها لن يختلف مطلقًا عن مستقبل هذه القوى .

٣- والنقطة الثالثة هى أن صحوة الشارع العربى هذه المرة تختلف عن سابقاتها ، فلقد امتدت هذه الهبة أفقيًا وتعمقت رأسيًا ، وأصبح يبحث فيها الشارع العربى عن طريقة للتأثير .

وأنا لا أستطيع الحديث عن غير هذا القطر الذى أعيش فيه ، ولكنى أدعوكم إلى تأمل معانى الدعوة للمقاطعة العملية التى بدأت فعلاً والتى يمكن بلورتها . ولعل بعضكم قد قرأ فى صحيفة الأهرام يوم ٢٠٠٠/١٠/١٧ ذلك الخبر الذى تنفى فيه سلسلة من المحلات الشهيرة وجود أى تأييد من قبلها لإسرائيل ، وهذا لم يحدث طيلة حياتى ولم أقرأه أبدًا .

ويعنى ذلك أن خيار المقاطعة موجود ومؤثر ، ويمكن أن يمتد إلى البضائع الإسرائيلية والأمريكية . فلم نعد نتحدث عن شعارات . وفى تقديرى أن صحوة الشارع العربى هى المسئولة عن عدم إقدام الولايات المتحدة الامريكية على استخدام حق النقد الفيتو أثناء التصويت على قرار مجلس الأمن بإدانة الاستخدام المفرط للقوة من قبل إسرائيل ضد الفلسطينيين .

وصحوة الشارع العربى هى المسئولة أيضًا عن هرولة كلينتون إلى شرم الشيخ ، رغم أن النتائج لا ترضينا لأن كلينتون جاء كى يحاصر هذه التداعيات الإقليمية للانتفاضة بعد أن امتدت من الأقصى إلى لبنان إلى شبه الجزيرة العربية والخليج ، فى الأعمال التى طالت المصالح الأمريكية والبريطانية هناك . وبالتالى

فالرسالة واضحة وهى أنكم نعمتم بالاستقرار طويلاً نتيجة مشاركتنا معكم فى لعبة المفاوضات ، فلتجربوا طريقا آخر ، فهذا مصدر كبير من مصادر القوة .

٤- وبالنسبة للقمة العربية فأنا أنظر إليها بترقب حذر ، ولكن ما أود أن أطمئنكم عليه ، أن القمم لا تجهض الانتفاضات حتى وإن أرادت ذلك . وأذكركم بواقعة تاريخية وهى أن انتفاضة عام ١٩٨٧ لم تتفجر إلا بسبب عدم ارتقاء قمة ١٩٨٧ إلى مستوى المسئولية ، فهى عقدت فى شهر نوفمبر . وبالوعى التاريخى والحس التاريخى والتراكمات التاريخية ، أحس الشعب الفلسطينى أنها ليست على مستوى طموحاته فتفجرت انتفاضته . إذًا فنحن لا نخشى من تخاذل القمة فإن وقع فهذا سوف يكون عامل إضافة جديدًا إلى نضال الشعب الفلسطينى والشعب العربى .

٥- وأخيرًا وليس بآخر ، أتصور أن إسرائيل قد أضرت بنفسها ضررًا بليغًا فى الثمانية عشر يومًا الماضية ، لأننى أزعم أن هناك جيلاً من الشباب نشأ فى مناخ الحديث عن السلام ، ولم يشهد مظهرًا من مظاهر الصراع ، وربما كان من الممكن إقناع هذا الجيل بالتعايش مع إسرائيل . لكن بالرصاص الإسرائيلى الذى يُطلق على رءوس أطفالنا وشبابنا ، بدمائهم التى تسيل بغزارة ، تنشئ إسرائيل جيلاً جديدًا عمره ما بين ١٣ و ٢٠ عامًا لمدة عقود قادمة على استمرار الصراع معها ، وهذا يمثل نقطة بالغة الأهمية بالنسبة للمستقبل . فإسرائيل بهذا تطيل أمد الصراع ، ولكننى على الرغم من كل هذه التكلفة التى يأسى المرء لها والتى يدفعها الشعب الفلسطينى ، إلا أننى متفائل تاريخيًا ، فالشعوب لا تنتفض لأننا نطلب منها الانتفاض ، بل تنتفض لأنها تشعر بأنه يجب عليها ذلك ، وتدخل

فى حروب التحرير لأنها تشعر بواجبها تجاه ذلك فهى لا تنتظر كلمة مثقف أو مفكر ليحثها على الثورة والانتفاض ، فالشعوب تتحرك من تلقاء نفسها فى الوقت المناسب .

فإذا مضى قرن من الزمن بأكمله على محاولات المشروع الصهيونى معززًا بكل قوى الهيمنة الدولية لكى يستولى على هذه القطعة الغالية من أرضنا فى فلسطين ، وهو حتى الآن لا ينعم بالاستقرار فيها ، فإن هذا يفتح الباب للتفاؤل لأننا وللأسف الشديد لم نكن على قدر المسئولية فى القرن المنصرم .

وهذا يعنى أننا بإعمال قدر قليل ومعقول من القوة نستطيع أن نضيف إضافة هائلة إلى إدارة صراعنا مع إسرائيل ، ومن هنا يأتى التفاؤل التاريخى .

تعقيب أ . د / أحمد صدقى الدجانى :

التحية الطيبة لهذه المشاركة الفعالة ، وأصدقكم القول بأننى كلما شاركت فى ندوة من هذه الندوات وضعت نصب عينى أن أهتدى إلى فكر أخوتى الذين يسمعون ويعقلون ويناقشون ، وأضع أيضا نصب عينى غرضًا آخر هو أن أحتمى برؤية الشباب . وإننى من موقع مسئوليتى على صعيد الفكر أدرس حصيلة ما يقال وأقومه فى مجال مهمتى التى سأسهم بها ما حييت فى تاريخ الفكر العربى . ولقد تحققت الأهداف الثلاثة اليوم كأجمل ما يكون .

١- حول القمة العربية هناك مؤامرة كبرى للقضاء على النظام العربى وعلى فاعليته ، وننتظر اليوم أن ينعقد لأول مرة بكامل أعضائه ، وأن يلزم نفسه بأن ينتظم ، وإن كنا نتوقع نتائج دون المستوى ، لكن يمكن تغيير ذلك من خلال أن يظهر فى كل تعليق منطق الفعل ، وأنتم مسئولون عن الفكر وعن إقران الفكر

بالفعل .

٢- وللإجابة على التساؤل الذى طرح حول ماذا نقصد بمصطلح توازن القوى فى مفاوضات شرم الشيخ ؟ وهل هذا التعبير يأتى من منطلق علمى موضوعى ؟ أم من من منطلق واقعى فعلى ؟

وهل هناك توازن قوى فعلى بين طرفى القمة فى شرم الشيخ ؟

فى واقع الأمر قصدت توازن القوى فى عالمنا ، ولم أقصد توازن القوى بين الأطراف ، فعالمنا عالم ما بعد ١٩٩٠ له وضع خاص ، وهناك قدرة للولايات المتحدة على الطغيان ، وبفعل هذه القدرة وضمن حسابات معينة يكون لها أن تدعو لانعقاد لقاء فى شرم الشيخ عام ١٩٩٦ . فاقرأوا كتاب أزمة « الحل العنصرى » لكى نفهم معا هذه الدعوة وكيف رُد عليها ، ثم بعد ذلك نأتى إلى عام ١٩٩٩ فى شرم الشيخ ولقاء كلينتون بالطرفين .

٣- جُلُّ الأسئلة تناولت العلاقة بين المستويين الشعبى والرسمى . وأحيى الشاب الذى ذكر الديمقراطية فى حديثه عن المشروع الحضارى العربى ، وأذكر أننى تناولت هذا فى أحد كتبى « فكر وفعل » وما هى العلاقة بين المستوى الشعبى والرسمى ؟ أهما فى انفصال كامل دائمًا ، أم أنه يمكن أن تكون بينهما علاقة ؟ وكيف نقرب هذه العلاقة ؟

فلقد وصلنى اليوم بيان من المؤتمرين القومى العربى والقومى الإسلامى ، اللذين اجتمعا فى بيروت ، وهما من أعلى المستويات الشعبية ويمثلان كل الفصائل ، ففيهما وضع المشاركون توصياتهم وقراراتهم ، وبعضها يخص المستوى الشعبى والآخر يخاطب المستوى الرسمى .

ولكن لمن همهم أن يوظفوا كل طاقة لوضع كل أمام مسئوليته ، أقول إن هناك نوعين من المسئولية هما :

١- مسئولية فردية .

٢- مسئولية جماعية .

فالمسئولية الفردية هى أنه يجب على كل فردٍ منا أن يقيم دوره تجاه مسئولياته فهى التى تحقق النهوض ، وهى التى توفر التراكم ، وهى التى أخرجت هذه الجموع من المحيط إلى الخليج لتعبر عن نفسها فعشنا هذه اللحظة الحية ، وحاولنا التعمق فى فهمها لكى نطورها .

وقلقت كثيرًا عندما أشار أحد أبنائنا إلى محاولات الفصل ما بين السلطة الوطنية الفلسطينية وبين الجماهير ، فالوحدة الوطنية تجلت بأعلى صورها ، وهى تذكرنا بأننا فى سفينة واحدة فى مواجهة هذا العدو .

٤- حول القول عن عزلة الكيان الصهيونى . أرادت وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت القفز على حقيقة كونها حليف للمعتدين ووضعهم فى صورة الضحية ، ولكنها أدركت المناخ الدولى المحيط .

فلم يكن من باب الصدفة أن تخرج صحيفة فرنسية مشهورة وتتحدث عن هذا الكيان ، فيجب أن نحسن توظيف هذا النضال المستمر ونوطّن أنفسنا على صراع طويل المدى ، فهذا هو الشيء الذى سيفجر هذا الكيان فى قلبه .

فأنتم فى معهد أقام ندوة « المشروع الصهيونى فى مائة عام » وسيخرج كتابها بعد أيام وستقرأون لابنتنا إيمان حمدى بحثًا تناولت فيه التناقضات الأربعة

داخل هذا الكيان .

ومهمتكم فى البحث العلمى معرفة كيف نفجر هذه التناقضات وكل منا مسئول من موريتانيا حتى البحرين للعمل على جعل التطبيع مستحيلاً على الصعيد الفردى أولاً ، ثم على الصعيد الجماعى ، وهذا له فاعليته .

ماذا عن المستقبل فى هذا الصراع ؟

هو سؤال نضعه نصب العين لأن المستقبل هو حصيلة عوامل عدة :

أولها : الواقع المرير .

ثانيها : مجرى الحركة التاريخية .

ثالثها : أهداف الأمة وحلمها .

رابعها : قدرتها على الفعل .

فيجب أن يسهم كل منا فى صناعة هذا المستقبل من خلال الاطلاع والمشاركة ، وأن نعلم الأجيال فكرنا وتاريخنا وحاضرنا كى نرسم مستقبلنا .

وعلى المدى القصير أقول إن المعاناة متصلة ومستمرة ، والانتفاضة قد تهدأ ولكنها ستعود وسيكون هناك جد وجهد .

وعلى المدى المتوسط نحن نعمل على عودة النظام إلى فاعليته بعد أن أدى تجميده إلى تجميد اتفاقيات الدفاع المشترك ، وحين أبرمت الاتفاقيات المملاة بدءًا من كامب ديفيد فرض أن يوضع نص يتضارب مع معاهدة الدفاع المشترك ، فكيف نعيد هذه المعاهدة ثانية ونعيد لقاء قادة المؤسسات العسكرية العربية ؟ فى المدى المتوسط سيكون ذلك ممكنا وذلك لأن الحل العنصرى قد سقط ، هذا الحل

الذى جعل القدس فى هذا الوضع والذى أراد للضفة الغربية نفس الحل .

فسوف يكون عبر الأفق ونصب العين أن فلسطين كلها محررة على المدين المتوسط والطويل ، وحزب الله أعطى ، مثلاً فهو نجح بمقتضى توفر عدة عناصر هى :

١- عنصر ذاتى .

٢- لبنان تَوَحد عليه .

٣- سوريا كقاعدة قوية له .

٤- إيران شكلت المدد .

وأمام هذا المدد وهذه العناصر هناك أمة مؤمنة تعلى من شأن المقاومة ، وفى المدى المتوسط سيرتفع شعار الانتصار بالمقاومة ، فكل منا فى موقعه ، والمقاومة هنا بمعناها الشامل وبكل بعد من أبعادها : البعد الفكرى والروحى الذى رأيتموه فى برنامج نور على نور فى رمز لقاء بين إمام الأزهر مع البابا شنودة ومع آخرين ، البعد الاقتصادى ، فعندما يتنصل اليهود من الصهيونية عندها سيطرح الحل الإنسانى الذى طرحته حضارتنا ، ونشهد اليوم الذى تتحرر فيه القدس ونصلى فى المسجد الأقصى أو كنيسة القيامة ونعود إلى يافا وحيفا وعكا ونفنى .

إننـــا لعـــائـــــدون
وقـــف الخلـــود لن تكون
والقـــــلاع والحصـــــون
فاشهـــدوا يـا نازحـــون
إننـــــــا لعـــائـــــدون

أ . د / أحمد يوسف أحمد :

أعتقد أننى أعبر عنكم جميعًا عندما أوجه عميق تقديرى وشكرى وامتنانى باسمكم إلى الأستاذ المفكر الكبير الأستاذ أحمد صدقى الدجانى على مشاركته اليوم لنا هذه المشاركة الفاعلة علميًا وفكريًا وإنسانيًا .

وأيضًا لا أنسى أن أتوجه بالشكر إلى كل من سعادة السفير سعيد كمال ، وسعادة السفير محمد صبيح اللذين اضطرا إلى مغادرة الندوة قبل انتهائها .

وأتوجه لكم جميعًا بالشكر لسببين :

الأول : أنكم تعلمون أنكم كنتم المبادرين بعقد هذه الندوة بعد أن اعتدت فى السنوات الماضية أن أقترح لقاءات وأبحث لها عن مشاركين وحضور أيضًا ، ولكن هذه المرة كانت بمبادرتكم وحضوركم .

وأعتقد أن الظروف ستفرض علينا أن نلتقى قريبًا لكى نعيد سويًا تدارس الموقف ومستجداته ، لعلنا نبحث فى ذلك البعد المتعلق بالنضال الفكرى .

الثانى : أشكر الحضور الذين قدموا من خارج المعهد لمشاركتنا هذه الندوة وتشريفهم لنا .

مرة أخرى كل إجلال لشهدائنا فى انتفاضة الأقصى ، ولأولئك الذين سبقونا ، ولكل قطرة دم فلسطينية أريقت فى انتفاضة الأقصى ، ولكل صوت عربى ارتفع لمساندة الشعب الفلسطينى .

وإلى لقاء قريب إن شاء الله .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT DE LA RECHERCHE ET DES ETUDES
مكتب اتحاد الجامعات العربية